**الدكتور مرزوق، الشريف**

## عنوان المداخلة:

# موازين ومناهج البحث عند المستشرقين في الدراسات الانسانية

## مقدمة

يعد الاستشراق أحد العوامل المهمّة التي أثّرت ـ ولا تزال ـ في الفكر الإسلامي، كما لعب دوراً بارزاً في صياغة التصوّرات الغربيّة السلبيّة عن الإسلام والتراث العربي بكل فروعه عموما، فقلَّ أن نجد مجالاً لم يتناولوه بالبحث والدرس، وفي الجملة فقد كان للاستشراق أثرٌ كبيرٌ في إيجاد أزمة المثقّفين المحدثين في العالم الإسلامي، من خلال تطبيق مناهجه في مؤسساته العلميّة، وعن طريق أعدادٍ كبيرةٍ من الطّلبة تلقّوا تعليمهم في الغرب.

إنّ ثلة من المستشرقين وقفوا حياتهم لدراسة الدّين الإسلامي في جوانبه كافّة، وأقيم لآرائهم ـ وما انتهوا إليه ـ وزنٌ كبير، فقد أثاروا في قلب قادة العالم الإسلاميّ وجمهرةٍ من مفكّريه الذين درسوا الإسلام في مراكز الغرب وبلغته، شبهاتٍ حول الرّسالة والرّسول، وأحدثوا في نفوسهم يأساً من مستقبل الإسلام، ومقتاً من حاضره، وسوء ظنٍّ بماضيه (الندوي و سيد، 2002)

وقد انطلق هؤلاء ـ أو كثيرٌ منهم ـ من ثقافتهم الخاصّة، بإسقاطاتٍ غير عادلةٍ عند تناولهم الإسلام، والتراث العربي، ومن منطلقات الفكر الأوربيّ نفسه في أوج مراحل تفوّقه.

### 1-تعريف الاستشراق :

تطلق كلمة الاستشراق ـ في معناها العام ـ على العلم الذي يدرس ما يتعلّق بالشرق عموماً (أقصاه، ووسطه، وأدناه)*(مع ملاحظة أن هناك تغيرات جغرافية وحضارية طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور، والمقصود به في هذا الموضع: دراسة قارتي آسيا وأفريقيا)* ، أمّا بالمعنى الخاص فهو: العلم الذي يتناول الشرق الإسلامي في جوانبه كافّة(لغته، وتراثه، ومجتمعه) في الماضي والحاضر، والقائم به ـ في المعنيين ـ يسمى "مستشرق"، وهو من تمكّن من تلك الدّراسات (زقزوق، د.ت) ، فمفهوم الاستشراق إذاً: "معرفة الشرق ودراسته" (زقزوق، د.ت) ، وقد أسهم هذا التيّار في صياغة التصوّرات الغربيّة عن العالم الإسلامي، معبّراً عن الخلفيّة الفكريّة للصّراع بينهما (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 2014)، ومن هنا لا يستطيع أي مستشرق أن يتناول موضوعاً (ما) دون أن يخضع للقوالب الفكريّة المسبقة؛ التي فرضت عليه نتيجة الثقافة التي ربي عليها.

**كما يعرف الاستشراق بأنه:** تعلم علوم الشرق الإسلامي، وتطلق كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير المسلمين -من اليهود والنصارى ونحوهم- للدين الإسلامي، وعلوم المسلمين، وتاريخهم، ولغاتهم، وأوضاعهم السياسية والثقافية والاجتماعية.

والمستشرق: هو العالم الذي يشتغل بتلك الدراسات، وأغلب المستشرقين يهدفون من دراستهم تشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم التاريخي والفقهي، وإضعاف روح المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين (الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، 2000).

### 2- مفهوم المنهج:

**المنهج في اللغة:**المنهج مأخوذ من مادة (نهَج)، ( النّهْجُ والمنهج، والمنهاج) تعني الطريق الواضح في أمر ما من علم ...إذ يقال: أنهج إذا استبان وصار شيئاً واضحاً بيناً ونهجت الطريق

إذا أبنَته وأوضحته، ونهجت الطريق أيضا إذا سلكته (مجمع اللغة العربية، 1989)، وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكة، وهو الطريق الذي يَسْلُكُهُ الإنسان وفق قواعد عامة تهديه وتقوده إلى الطريق السليم في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية فالمنهاج هو الطريق الموصل للمقصد، وبعد اكتمال المقصد وبيانه يكون المنهج المؤدي إليه كذلك (ابن منظور، د-ت)

**المنهج في الاصطلاح:** عرف المنهج في الاصطلاح العام بأنه النشاط المنظم للإنسان في أي جانب من جوانب حياته (المغذوي، 2010).

ويعرف المنهج بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين وعرف المنهج في الاصطلاح بأنه النظام والخطة المرسومة (البيانوني، 2014)

**3- مناهج وموازين البحث لدى المستشرقين في دراسة التراث:**

من الصعب أن نجمع المستشرقين في بُوتقَةٌ واحدة ونزعم أن منهجهم كان واحدا في كل الأزمان وفي كل الموضوعات التي تناولوها خاصة أنه يصعب التعميم هنا من حيث المنهج، إذ ربما كان لكل مستشرق منهجه في دراسة جزئية يسيرة من جزئيات التراث العربي الإسلامي (غانم، 2019) .لم يسلك المستشرقون في أبحاثهم ودراساتهم الاستشراقية قواعد البحث العلمي، بل اتبعوا منهجاً في غاية الغرابة، فالباحث المخلص يجب أن يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يبحث، وعليه أن لا يجافي الحقيقة العلمية، وأن لا يبتعد عنها بهواه ورغباته الشخصية، وعليه أن يلتزم الحيدة الموضوعية العلمية. وقد اعترف بعض المستشرقين بأنّ كثيراً من زملائهم قد انحرفت بهم نزواتهم عن النزاهة العلمية، وطغت على أبحاثهم روح التعصب الصليبي، يقول **برنارد لويس** : "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية". ويقول **نورمان دانييل**: "على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتَّاب النصارى من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا منها تجرداً تاماً". ويقول **مونتجمري وات**: جدّ الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولَّدت في أوربا عن الإسلام، وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسطة في أوربا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها" (زقزوق م.، د.ت).

ويمكن أن **نلخص ميزان البحث لدى المستشرقين** في النقاط التالية:

1- **الاعتماد على الهوى والرغبة الشخصية في الانتقاص من الإسلام والمسلمين** . إنهم يخضعون النصوص الدينية لتأويلاتهم التي يتخيلونها حسب أهوائهم، وكثيراً ما يرفضون النصوص، أو يقبلونها مع التأويل الفاسد، أو يحرفونها حسب أهوائهم واتجاهاتهم الشخصية المغرضة.

2- **وضع فكرة معينة في الذهن ثمّ تصيّد الوقائع المغلوطة والأدلة الضعيفة لإثبات صحة هذه الفكرة**، مع الاعتماد على الكتب والمصادر غير الموثوق فيها من قبل المسلمين، أو التحكم في اختيار المصادر والأدلة، فمثلاً ينقلون من كتب الأدب -كالأغاني للأصفهاني والحيوان للدميري- ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، وينقلون من كتب التاريخ ما يحكمون به في الفقه وتاريخ التشريع.

3- **الاعتماد على الخيال والوهم المجرد في تفسير الوقائع وتحليل الحوادث والمفاهيم الدينية** (الميداني، 2000).

4- **جمع الشبهات المختلفة، وإثارة الشكوك المتعددة، وإظهار الدعوات الباطلة**: كالدعوة إلى اللهجة العامية التي بدأ بها كل من ولكوكس وويلمور، وكالدعوة إلى الفينيقية والفرعونية التي بدأها كل من كرومر وفمبري.

5- **البحث عن نقاط الضعف، وتقصّد الأخطاء، والعمل على تضخيمها**، رغبة في التجريح والطعن، فمثلاً نرى المستشرقين يعتمدون على الأحاديث الضعيفة والروايات الساقطة والأخبار السقيمة، وكثيراً ما يغفلون النصوص والأخبار التي تناقض ما يقررون (زقزوق، د.ت).

6- **الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث:**

شرط المنهج الأول، وأساسه، التجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه، ونفي ما عداه، فما بالك بمن يحدد الغرض أولاً، والنتيجة مسبقاً، ثم يبدأ في البحث عما يؤيدها، والتنقيب عما يثبتها، فهذا ليس علماً، وليس بحثاً، مهما كانت صورته، ومهما كان شكله، وهذا هو ما يعمله المستشرقون.

فالمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدَّماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هنا يكون دأبه، واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضنا، وهو في الواقع يدأب، ويشقى ويكد، لينحِّيَ ما يهدم فكرته ويكذب رأيه، ويُخفي ويطمس ويتجاهل كلَّ ما يسوقه إلى نتيجة غير التي حددها سلفاً، ومن هنا تأتي أبحاثهم عليها مسحة العناء والاستقصاء، ولكنه عناء الالتواء، واستقصاء مَنْ يجمع من لا شيء شيئاً، ويصنع من الهباء بناء، ويبني من الغبار صرحاً.

هذا الداء المبير، والخطر الوبيل، حذر منه علماؤنا الأقدمون منذ أكثر من ألف عام، حين وضعوا قواعد المنهج، وحددوا أركانه وشروطه فتردد في كتبهم ونبهوا عليه في كثير من مؤلَّفاتهم، وخصوا من القواعد بكتب ورسائل خاصة. فمن قبل ألف عام قرأت الدنيا للحسن بن الهيثم المتوفى سنة 430 هـ. /1038م. فيما وضعه من قواعد المنهج قوله في كتابه (المناظر):

"... **ونجعل غرضنا في جمع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل، لا اتِّباع الهوى، ونتحرى، في سائر ما نميزه وننتقده، طلبَ الحق، لا الميل مع الآراء، فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة، التي يزول معها الخلاف، وينحسم بها مواد الشبهات**".

هكذا، استعمال العدل، والبعد عن الهوى، وطلب الحق، وعدم الميل مع الآراء شرطٌ للوصول إلى اليقين والحقيقة!! فهل كان المستشرقون يبغون اليقين ويريدون الحقيقة؟؟

7_ - **عجز المستشرقين عن تمثل الثقافة واللغة:**

إذا كان من شروط المنهج البراءة من الأهواء، كما ذكرنا آنفاً، فإن من شروطه أيضاً إدراك اللغة والإحاطة بأسرارها، أسرار اللغة التي يبحث الباحث في آدابها وعلومها، وفنونها، وكذلك إدراك (الثقافة) والإحاطة بسرها، (ثقافة) الأمة التي يريد أن يبحث في تاريخها، وعقائدها، وعمرانها وحضارتها، وعقائدها ودينها.

والمستشرق فتى أعجمي، ناشيء في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها.. ثم يشدو طرفاً من علوم العربية وآدابها، يأخذها من أعجمي مثله، ثم يخرج على الناس بعد ذلك (مستشرقاً)، يُفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي،... غاية ما يمكن أن يحوزه (مستشرق) في عشرين أو ثلاثين سنة... أن يكون عارفاً معرفةً مَّا بهذه (اللغة) وأحسن أحواله عندئذٍ أن يكون بمنزلة طالب عربي، في الرابعة عشرة من عمره، بل هو أقل منه على الأرجح، أي هو

في طبقة العوام، الذين لا يَعْتَدُّ بقولهم أحد في ميدان (المنهج).. على أن اللغة نفسها هي وعاء (الثقافة) فهما متداخلان.. فمحال أن يكون محيطاً أيضاً بثقافتها، إحاطة تؤهله للتمكن من (اللغة)، فمن أين يكون (المستشرق) مؤهَّلاً لنزول هذا الميدان؟.
وإذا كان أمر (اللغة) شديداً لا يسمح بدخول المستشرق تحت هذا الشرط اللازم للقلة التي تنزل ميدان (المنهج) و(ما قبل المنهج) ـ فإن شرط (الثقافة) أشد وأعتى، لأن الثقافة سرٌّ من الأسرار الملثمة في كلِّ أمة من الأمم، وفي كلِّ جيل من البشر، وهي في أصلها الراسخ البعيد الغور، معارف كثيرة لا تحصى متنوعة أبلغ التنوع، لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كلِّ مجتمع إنساني، للإيمان بها أولاً من طريق العقل والقلب، ثم للعمل بها، حتى تذوب في بنيان الإنسان، وتجري منه مجرى الدم، لا يكاد يحس به، ثم للانتماء إليها بعقله وقلبه، انتماءً يحفظه ويحفظها من التفكك والانهيار. وهذه القيود الثلاثة: (الإيمان) و(العمل) و(الانتماء) هي أعمدة (الثقافة) وأركانها. التي لا يكون لها وجود ظاهرة محقق إلاَّ بها، وإلا انتقض بنيان (الثقافة) وصارت مجرد معلومات ومعارف، وأقوال مطروحة في الطريق، متفككة لا يجمع بينها جامع، ولا يقوم لها تماسك، ولا ترابط، ولا تشابك..
وبديهي، بل هو فوق البديهي، أن شرط (الثقافة) بقيوده الثلاثة، ممتنع على (المستشرق) كلَّ الامتناع، بل هو أدخل في باب الاستحالة من اجتماع الماء والنار في إناء واحد.
وذلك أن (الثقافة) و(اللغة) متداخلتان تداخلاً لا انفكاك له، ويترافدان ويتلاقحان بأسلوب خفي غامض كثير المداخل والمخارج والمسارب، ويمتزجان امتزاجاً واحداً غير قابل للفصل، في كلِّ جيل من البشر، وفي كلِّ أمة من الأمم... فأنَّى للمستشرق أن يحوز ما لا يحوزه إلا مَنْ ولد في بحبوحة اللغة وثقافتها منذ كان في المهد صبيّاً..".
ومن ذلك ما وقع فيه المستشرق الألماني (براجستراسر)، في تحقيق كتاب مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه، حيث صحَّف كلمة أبي عمرو بن العلاء: "فقد تربع في لحنه" وجعلها: "فقد تربع في الجنة، مع أن المقام مقام ذم".
وإذا كانت هذه الأخطاء لا يترتب عليها كبير خلل في المعنى أو قضايا علمية فهناك ما يترتب عليه فساد في المعنى، وأحكام شرعية، فمن ذلك ما قاله (م. وات) من تفسير الغض من البصر بأنه التواضع، حيث قال: "وقد نزلت آيات أخرى تدعو المؤمنات إلى التواضع: (وَقُل لِّلْمؤْمنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارهِنَّ وَيَحْفَظنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا...) (سورة النور: من الآية:31).

**8_ ـ التعسف في التفسير والاستنتاج:**

فهنا لا يكون اللفظ العربي مستعصياً مستغلقاً على المستشرق، ويمكنه ـ لو أراد ـ أن يفهمه فهماً صحيحاً، ولكنه يميل مع هواه فيُنطِق النص بما يتفق وهدفَه، ويشبع هواه، والأمثلة على ذلك كثيرة ـ ككل خيانات المستشرقين ـ لا تقع تحت حصر، ولكن يكفي أن نذكر مثالاً للمستشرق (المنصف) (المعتدل) م. وات. وذلك حين يفسر أمر القرآن الكريم للمؤمنين بالاستئذان قبل الدخول لبيوت غير بيوتهم، وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر (سور النور: الآية27,30,31) يفسر ذلك بانحطاط في مستوى الأخلاق، كان النبي صلى الله عليه وسلم، بحاجة إلى السمُوِّ به.
فمن أين أتى بهذا الاستنتاج؟؟ وهل تسمح النصوص القرآنية الكريمة بأن يستنتج منها هذا الاستنتاج العجيب؟
هل إذا كانت الأخلاق (غير منحطة) يسمح بدخول بيوت الآخرين بدون استئذان؟

أإذا نصح هذا المستشرق ابنه وهو يؤدبه ويعلمه ألاَّ يدخل بيتاً غير بيته، إلا بعد أن يستأذن، أيدل ذلك (على انحطاط مستوى أخلاق ابنه)؟؟ وعلى انحطاط مستوى أخلاق مجتمعه؟؟.

**9_ - التفسير بالإسقاط:**

ونعني بهذا إسقاط الواقع المعاصر المعيش، على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم، فيتناولون بيعة أبي بكر يوم السقيفة، وكأنهم، يحللون انتخابات الرئاسة في أمريكا، بألاعيبها وفضائحها الحزبية، ويفسرون خروج طلحة والزبير على علي رضي الله عنهم جميعاً، بأنه خوف على ثرواتهما التي جمعاها، في أثناء الفتوح، ومن غنائم الفرس، والروم، وكأنهم ينظرون إلى الصراع بين شركات الصلب، أو شركات السلاح، ومؤسساتهم الرأس مالية الضخمة، التي تصارع للتأثير على السلطة، وعلى صناعة القرار، مع أن أول وأبسط قواعد تفسير النصوص، وفهمها، هو المعرفة التامة لروح العصر، ولما يسمونه، جو النص، ثم المعرفة بحياة قائل النص: نشأته وثقافته، وحياته، وأعماله، هذه المبادئ يتعلمها الشادون المبتدئون، في الصفوف الأولى من التعليم المتوسط.

ولكن هؤلاء المستشرقين يغضون الطرف عن قواعد المنهج، بل يدوسون قواعد المنهج ويمتهنونها.

فمن عرف تاريخ أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة، وحياتهم، وكيف جاهدوا في الله بأموالهم وأنفسهم وكيف كانت الآخرة أمام أعينهم، وكيف كانت حقارة الدنيا في نظرهم، كيف يستطيع أن يفسِّر ما دار يوم السقيفة، على أنه اتفاق بين الثلاثة، على أن يُعين عمرُ وأبو عبيدة أبا بكر، على شرط أن يعهد بها أبو بكر إلى عمر، ثم يعهد بها عمرُ إلى أبي عبيدة!! إن هذه صورة منتزعة من واقع انتخابات عصرنا ومؤامراته، ويستحيل على من عنده أدنى معرفة برجال صدر الإسلام، وبروح العصر، ومشاعر المسلمين يوم السقيفة، أن يقبل هذا التفسير الذي يُسقطونه من داخل أنفسهم على وقائع تاريخنا.

وكيف يقال: إن طلحة والزبير كانا يخشيان على أموالهما، وهما من هما تضحيةً وبذلاً في سبيل الله، إن الطراز من الرجال الذين كانوا لا يبالون أيقعون على الموت أم يقع الموت عليهم، كيف يخافون على عرضٍ زائل؟ وقد ظهر كذب هذا التفسير وزيفه، إذ ثبت بأصدق الروايات، وأوثقها، أن الزبير يوم مات لم يكن ماله يكفي لسداد ديونه.

ومن طرائف التفسير بالإسقاط، أو الإسقاط في التفسير، ما رأيناه عند المستشرق الانجليزي (منتجومري. وات) إذ فسر ما كان من خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم، في غار (حراء) قُبيْلَ البعثة، بأنه كان هروباً من حرِّ مكة، وابتراداً في رأس الجبل، جبل حراء، حيث كان محمد (صلى الله عليه وسلم) فقيراً لا يستطيع السفر إلى الطائف، مثل أغنياء قريش!!

فهو هنا أمام حدث قديم، وقع في مكة، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ولكنه يفسره ويعلِّله، بروح عصره هو، ويُسقط عليه مشاعر واتجاهات، وعادات وقيم عصره، الآن، يفسره وفي ذهنه، رحلات المصطافين في عصرنا هذا، وكيف يُعِدُّون لها، وينفقون في سبيلها، يفسر هذا الحدث وفي ذهنه قمم الجبال المعشوشبة، التي يكسوها الجليد والبرد.

ولم يكلف نفسه، بل لم يستطع أن يدرك واقع المجتمع المكي، آنذاك، بل واقع الجوِّ في مكة، والفرق بين درجة الحرارة في شعاب مكة ورأس جبل حراء، وهل حقاً تنخفض الحرارة في رأس (حراء) عند الغار ـ وهو مازال موجوداً إلى الآن ـ انخفاضاً ملموساً يجعل محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلجأ إليه، لم يذكر أحد قط ممن كتبوا عن مكة وأهلها آنذاك، أن الفقراء كانوا

يصطافون بالجبال، والأغنياء كانوا يصطافون بالطائف.
إن الرواية الصحيحة تقول: "إنه صلى الله عليه وسلم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يذهب إلى غار حراء يتحنث فيه، ويظل به الليالي ذوات العدد، قبل أن يعود لأهله ليتزوَّد لمثلها".
فكيف يختلي بجبل هو مصطاف الفقراء من أهل مكة، أم يا ترى كان محمد "صلى الله عليه وسلم"، هو الفقير الوحيد في مكة، فخلا له جبل حواء؟؟
أم تراه هو الوحيد الذي أدرك السرَّ الخطير، وهو برودة رأس الجبل؟ وضن به على غيره، فلم يشاركه في خلوته بالجبل أحد؟؟
أم يا ترى كان في مكة جبال بعدد فقرائها، لكل فقير ـ لا يقدر على السفر إلى الطائف ـ جبل؟؟
ثم أين تقع الطائف من مكة؟؟ ألم يقرأ أن محمداً صلى الله عليه وسلم، ذهب إلى الطائف ماشياً بعد أكثر من عشر سنوات، أي بعد أن كبرت سنُّه، حينما اشتد إيذاء قريش وعنادها، ليعرض الدعوة على شيوخ ثقيف؟؟
ثم كيف يستقيم له هذا الفهم العجيب، والتفسير الغريب، (العجز المالي) مع حديثه في كتابه هذا نفسه ص 75-73 عن زواج محمد صلى الله عليه وسلم، من خديجة وثراء خديجة، فهل كانت خديجة ( رضى الله عنها) عاجزة عن إعطاء محمد صلى الله عليه وسلم، ناقة يسافر عليها إلى الطائف، مع نفقات الإقامة.
ثم لماذا لم يسأل نفسه عن السبب في عدم انتقال خديجة إلى الطائف، لتصطاف بها مثل أثرياء مكة؟؟

**10_- منهج العكس:**

أما منهج العكس وهو أن ينظر الباحث في النصوص والوثائق، والروايات، فإذا قالت شيئاً، فعليه أن يدرك أن الصواب هو عكسه تماماً.
ولقد كان المستشرق (لامانس) اليسوعي من أكثر المستشرقين، اعتماداً على منهج العكس، وهذه نماذج من ثمار استخدامه لهذا المنهج:
"إن مما لا شك فيه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان شجاعاً، لقد كان يقود الجيوش في الغزوات، ولم تطر نفسه شعاعاً في أية واحدة منها، ولا يوم أحد ـ وقد ابْتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ـ ولم تهله كثرة الجيوش المعادية في غزوة الخندق، يوم أن زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، ولم ترعه النبال كالمطر، يوم حنين... ومع ذلك، فإن \"لامانس" يصفه بعدم الشجاعة، ثم يحاول أن يعمم الحكم على العرب قاطبة، يقول: "زعموا أن العربي يتسم بالشجاعة، بل لقد عللوا النجاح في الفتوح الإسلامية الأولى بما يمتاز به العربي من صفات ومزايا، ولكني أتردَّد كل التردُّد في قبول هذا الرأي المبالغ فيه كلَّ المبالغة.. إن شجاعة العرب إنما هي من نوع غير سام".
ويرد (ناصر الدين دينيه) هذه الفرية، مؤكداً شجاعة العرب مذكِّراً إياه بمواقفهم في الحرب العالمية، ومساندتهم للحلفاء (قوم لامانس) وأحاله على شهادة القواد الغربيين للمقاتلين المسلمين، فقال: "والرد على القسيس اللبناني بسيط، ويكفي أن نُسديَ إليه هذه النصيحة، وهي أن يقرأ آلاف الشهادات التي نالها من قيادة جيوش الحلفاء الجنودُ المسلمون الشجعان، الذي حاربوا دفاعاً عما اعتقدوه حقاً، فكانوا من عوامل النصر في الحرب الكبرى، لقد أثارت فرق الهجوم منه إعجاب العالم أجمع، وإن هذه الشهادة في أسلوبها العسكري الموجز صرح شامخ مجيد، يسجل روح التضحية والبطولة لدى العرب المغاوير.
وأعجب نموذج، وأبلغ صورة لمنهج العكس هذا عند "لامانس" أنه إذا أراد أن يؤيد دعواه في

قضية من القضايا، ثم بحث حتى أعياه البحث فلم يجد خبراً لا صحيحاً ولا سقيماً يؤيد ما ادعاه، فإنه لا يتراجع، وإنما يمضي في جرأة نادرة ـ على حدِّ تعبير دينيه ـ ويستمر متشبثاً بدعواه، ويقول: "إن هذا أمر عُنِيَ رجال الحديث بكتمانه " هكذا إذا لم يجد الخبر، فهو حقيقة ولكن تواطأ الرواة على كتمانه.

وليس هذا الفساد المنهجي (منهج العكس) قاصراً على (لامانس) وأضرابه من متعصبة المستشرقين، بل إننا نلحظه عند كثيرين منهم، ولكن بدرجات متفاوتة، فمن ذلك مثلاً، ما نراه عند (ول. ديورانت) في كتابه: "قصة الحضارة " حيث لا يعجبه أن المؤرخين في كلِّ ما كتبوه "صوروا هارون الرشيد ـ أولاً وقبل كل شيء في صورة الرجل الورع المتمسك أشد التمسك بأوامر الدين.. وأنه كان يحج إلى مكة مرة كل عامين، وأنه كان يصلي في كلِّ يوم مئة ركعة نافلة مع الصلوات المفروضة " ا.هـ

فهو يرى، أن هذه الصورة غير الصورة المعروفة، عن هارون الرشيد، حيث صورته قصة \"ألف ليلة وليلة\" في صورة الملك المرح، ولكن هذا (المرح) أغضب المؤرخين، فصوروه في صورة الورع المتمسك بالدين.. إلخ.

فكلُّ المؤرخين في نظر (ديورانت) كاذبون مزيِّفون، ساءهم مرح هارون الرشيد، فاخترعوا له صورة (معكوسة) (عكس الواقع).

وهكذا يفعل (منهج العكس) عند علماء الاستشراق وفي أبحاثهم.

**11 ـ منهج التأثر والتأثر:**

طبق بعض المستشرقين هذا المنهج بإلحاح شديد، فحكموا بالتأثر عند كل تشابه، وهكذا تعاملوا مع الإسلام على أنه ليس إلا إفرازاً لحضارات سابقة، فجردوه بذلك من أي سمة إبداعية أصيلة، وجعلوا هذه الصفات وقفاً على الحضارات القديمة، والذي دفعهم إلى ذلك أنهم درسوا الإسلام بالمنهج نفسه الذي درسوا من خلاله المسيحية، ولما كانت هذه الأخيرة قد تأثرت بالبيئة التي انتشرت فيها، ولحقها تطور كبير، إذ دخلت فيها عناصر من بعض الأديان والفلسفات السابقة، فالدين الإسلامي ـ في نظرهم ـ كذلك.

وهكذا غدا الفقه الإسلامي عندهم نسخة من القانون الروماني (السباعي، د.ت) ، وأن الحضارة الإسلامية ـ في أحسن أحوالها ـ ليست إلا شكلاً من أشكال "الهللينية"، بل إن الإسلام ذاته، هو لون جديد يجمع بين اليهودية والمسيحية (بن عبود، 1985).

ومهما يكن من أمر فالمنهج العلمي الرصين يأبى أن نطبق هذا القاعدة عند كل تشابه؛ لأن العقل البشري قد يصل إلى نتائج مشابهة إذا تماثلت الوقائع والظروف، وفي دراسة الأديان ذات الأصل السماوي نكون أمام حالة خاصة، ذلك أن ما بينهما من تشابه يرجع أساساً إلى **وحدة المصدر**، ومعضلة المستشرق أنه تعامل مع الأديان؛ على أنها منفصلة عن بعضها لا يجمع بينها رابط، فلما جاء دور المقارنة سمح لمخيلته أن تنسج إجابات عن تساؤلات بنيت على رؤية سطحية مسبقة: من تأثر بمن؟ وما هي أدلة التأثير، وهكذا بدل أن تكون حالات التشابه بين الأديان عاملاً يوحدها ويرجعها إلى منبعها الأصلي، ومن ثم يؤكد غايتها المتجسدة في هداية البشر، فقد تحولت بيد المستشرق إلى أداة سطوٍ فكري؛ يتم بواسطتها إفراغ الإسلام من مضمونه، وذلك بإرجاعه إلى مصادر خارجيةٍ كالنصرانية، واليهودية، والمجوسية، والبوذية، والبابلية (النعيم، 1997).

إن عدم الوقوف على الاختلافات الجوهرية بين الإسلام، وبين الأديان الأخرى (فالإسلام رفض التثليث، والصلب، وفكرة الخلاص)، (دومنيك سورديل، 1998) جعلهم لا يرون في

الإسلام إلا نسخة منقحة عن غيره، ويعد ( *جولد زيهر Goldziher الذي توفي 1921م وهومستشرق مجري يهودي من أعماله: "الظاهرية مذهبهم وتاريخهم" و"العقيدة والشريعة في الإسلام" و"مذاهب التفسير الإسلامي" وله اهتمام كبير بالدراسات الشرقية ، ترك أكثر 592 بحثا)* (بدوي، 1993) المسؤول الأول عن تطبيق هذا المنهج غير العلمي، عندما أخضع الإسلام للتطور؛ مثله مثل الأديان الأخرى، وجعله متأثراً بها وبالفلسفات المتأخرة عنه (يوسف موسى وآخرون، د.ت) ، وقد اقتفى أثره في ذلك؛ ثلة كبيرة من المستشرقين حتى من وصف بالموضوعية كـ (Watt)

وما الحجر الأسود ـ في نظره ـ إلا امتداد لبقايا الأحجار المقدسة في الجاهلية وهو يعد وثناً من أوثانها (بروكلمان، 2005)، إن المرء يعجب حقاً كيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أزال من داخل الكعبة وما حولها الأصنام والرسوم، وأبقى على هذا الوثن!!

ويرى *(بلاشير Blachere (ت1973م) وهو أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين؛ بسبب دراساته المهمة حول الأدب العربي(قديمه وحديثه)، وبحوثه عن القرآن الكريم، ، له ترجمة لمعاني القرآن للفرنسية مع مقدمة طويلة، قضى معظم حياته في المغرب العربي دارساً ومدرساً)* (عفيفي)ـ على اعتداله في أحكامه أحياناً ـ أن القصص القرآني ترجع إلى مصدر يهودي مسيحي، معتمداً في حكمه ذلك على ما زعم من وجود علاقات مستمرة، كانت تربط مؤسس الإسلام! بالفقراء المسيحيين في مكة (صبيح، 1983)، وقد أغرب بعضهم عندما زعم أنه اكتشف مصدراً جديداً للقرآن، هو شعر أمية بن أبي الصلت لورود بعض أسماء الأقوام السابقة في القرآن والشعر، ولاستخدام بعض المصطلحات، وأن استعانة النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك الشعر في نظم القرآن، حملت المسلمين على مقاومته ومحوه؛ ليستأثر القرآن بالجدة، ولتصح دعوى انفراد النبي -صلى الله عليه وسلم- بوحي السماء، ولم يجهد Goldziher نفسه كثيراً عندما سلّم بإمكان وجود عناصر أفلاطونية محدثة وغنوصية في مادة الحديث النبوي (بدوي، التراث اليوناني، 1940)، وأن المعتزلة ـ كما يرى (هورتن Max Horten (ت 1874م) مستشرق ألماني عني بالفلسفة وعلم الكلام غير أن قلة بضاعته في العربية والمصطلحات الكلامية والفلسفية قد أوقعه في أخطاء، نشر كتاب الفصوص للفارابي، والمشاكل الفلسفية في علم الكلام النظري). (بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق ) ـ صورة مماثلة لليبراليي الفكر الغربي؛ لأنه وقف على بعض التشابه بين فكريهما (واط، 1998)، ولم يتنبه ـ هو ومن شايعه ـ أن المعتزلة لم يكونوا أبداً كحال الليبراليين خصوماً للدين، أو دعاة خروج عليه، ودفع الحماس بعض المستشرقين لإثبات تأثر علم الكلام الإسلامي باللاهوت المسيحي في مسائل كالجبر والاختيار ونفي الصفات الإلهية، والاعتقاد بقدم القرآن، ولم يبينوا متى حصل التأثير وكيف (ولفسون هاري، 2005)؟

وهكذا الحال بالنسبة للفلسفة الإسلامية، فهي ـ حسب رؤيتهم ـ ليست إلا مختصراً مرذولاً قام به مترجمون غير جيدين للفكر اليوناني القديم، فالعرب مجرد نقلة، وفلسفتهم محاكاة للفلسفة اليونانية، فلم تأت بجديد يحسب لها، سوى المحافظة عليها حتى جاء الوقت الذي تسلمتها أوربة منهم، فأعادت إحياءها على نحو مكتمل (ودي بور، د.ت) ، إن حكمهم هذا ينطلق من نظرية التمييز بين الجنس السامي الذي ينتمي إليه العرب، وبين جنس آري ينحدر منه الأوربيون، فالأول مقلد تابع والثاني أصيل متبوع.

إن هذه النظرية التي تفرق بن الشعوب على أساس الخصائص البيولوجية تعكس روحاً سياسية استعمارية اعتنقها الغرب ليواجه الشعوب الأخرى، فهي إذاً تعبر عن إيديولوجية

سياسية لا عن علم منهجي، وإن حاولت أن تلبس ثوباً علمياً، فالعلم الحديث أظهر تهافتها (روز، د.ت) .

ورد بعض المستشرقين النحو العربي إلى أصول يونانية، أو سريانية، أو هندية، أو لاتينية، معتمدين على فرضيات لا ينهض دليل عليها، منها: محاولة إيجاد علاقة تاريخية بين النحاة العرب والنحاة (السريان)، كتلك العلاقة التي زعموها بين أبي الأسود الدؤلي وبين يعقوب الرهاوي، وافتراض علاقة موهومة بين حنين بن إسحق وبين الخليل بن أحمد، فعلوا ذلك لمجرد تشابه لا وزن له في منطق العلم، كقولهم: إن تقسيم الكلام عند سيبويه تقسيم يوناني، وأن مصطلحات الإعراب هي مصطلحات يونانية (حسن، 1997)، لكن يبدو أن أصحاب هذا الرأي لم يتنبهوا إلى أن صلة النحو العربي باليوناني والسرياني؛ جاءت متأخرة جداً عن فترة النشوء والتكوين، وأن التأثير اليوناني لا يتعدى استعارة بعض المصطلحات عديمة القيمة، وهذا الرأي يأتي منسجماً تمام الانسجام مع توجه الفكر الاستشراقي نحو التعصب للثقافة اليونانية، برد كل العلوم إليها، وإنكار أي فضل لأي حضارة أخرى شرقية كانت أو إسلامية (حسن، 1997). فهذا المنهج الذي طبقه كثير من المستشرقين على الإسلام، بجعل القرآن ـ بل الإسلام ـ نسخة مأخوذة عن غيره لا يستقيم، فالقرآن الكريم نفى أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تلقى تعليماً من غيره: (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) **(النحل: 103.)**، والقرآن الكريم جاء مرمماً للكتب السابقة ومكملاً لبنائها، فضلاً عن أنه طافح بعدد وافر من الآيات التي تصحح تحريفات الكتب السابقة، أو تعارضها، أو تفندها، وتطرح أيضاً حقائق جديدة تغاير تماماً ما طرحته تلك الكتب.

ومن حقنا ـ ههنا ـ أن نتساءل: ما مفهوم الإبداع عند أصحاب هذا المنهج؟ هل يطلب من أمة أن تعيش في عزلة مطبقة، ثم تنتج فكراً من لا شيء، وأن تستقل بما عندها فلا تلتفت إلى ثقافة غيرها مهما كانت قيمتها وأهميتها، ومن ثم هل توجد حضارة لم تستفد من سابقتها على نحو ما، بأن تمزج أفكارها بالأفكار الوافدة ثم تعيد فرزها من جديد، وحضارة الإسلام ليس بدعاً من الحضارات، فابتكاراتها لا تخفى إلا على من اعتاد ألا يرى الحقيقة، مهما كانت ناصعة مشرقة؛ نتيجة عصبية مسرفة أو حقد أخذ بمجامع القلب فأفقد بصر بعضهم وبصيرتهم، ومن ناحية أخرى لم تشيد حضارة المسلمين على ما استقلت بإيجاده، بل طعمت أفكارها بأفكار غيرها فأخذت ما صفا وتركت ما كدر، وإذا كان هذا الصنيع لا يسمى ابتكاراً، فليس ثمة ابتكارات في العلم إذاً، فما حقيقة الابتكار العلمي إلا نسيج موحد من خيوط متفرقة، ثم ربط عقد جديدة، فليس ثمة اختراعات تظهر من عدم.

**12 المنهج العلماني:**

وهو منهج يستبعد وقوع ظواهر دينية لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة، وبمعنى آخر: اعتقاده القدرة على إخضاع كل ظاهرة تاريخية أو بشرية، لمقولات التحليل العقلي الخالص حتى لو كانت (غيبية) تندُّ عن التعليل والتحليل، وعلى أساس هذا فقد شكك Watt بحادثة شق الصدر ورؤية النبي ε لجبريل عليه السلام، بل إنه فسَّر النبوَّة ضرباً من التخيل الخلاق، وليست اصطفاء إلهياً، وإلى نحو هذا ذهب Brockelman حيث جرد النبوَّة من بعدها الديني عندما زعم أنه قد نضجت في نفس محمد -صلى الله عليه وسلم- فكرة أنه مدعو لأداء رسالة، ثم أعلن ما ظنه وحياً، وهذا لم يثر اهتمام أتباعه الذين اعتادوا على وجود كاهن في كل قبيلة، يعزو الأحكام والمشكلات الغامضة إلى صاحب له غيبي، ثم يذيعها في

الناس نثراً مسجوعاً، أما حادثة الإسراء والمعراج فهي ضرب من الرؤى المنامية التي تحصل للعرَّاف أثناء تهجده، كما هو حال بعض الشعوب البدائية.

أما فلهاوزنWellhausen(ت1918م) فيرى في النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل سياسة، هدفه الاستيلاء على الحكم، وبعد أن حقق غايته" صار الطابع السياسي يزداد بروزاً، والطابع الديني يزداد تراجعاً. إن الذي أوصل Wellhausen إلى هذه النتيجة المتعجلة القاسية ـ إذا سلمنا بحسن نيته ـ أنه وقف على التطور الذي حدث في الجانب السياسي، ولو نظر لذلك على أساس النبوَّة؛ لأدرك أن هذا التطور لا بد منه، ليس في جانب الحكم والسياسة فقط، بل في جوانب الحياة كافة.

**13 المنهج المادي:**

ظهر هذا المنهج بوضوح بعد نجاح الثورة الشيوعية في روسيا عام ( 1917م)، ولكن ـ فيما يبدو ـ أن أبوته الشرعية تمتد لأبعد من ذلك حيث تأثر المستشرقون بالفلسفة الوضعية والمنهج التجريبي الذي ساد في القرن الثامن عشر، وهو يمنح العامل المادي أهمية قصوى في تفسير الواقعة التاريخية، فقد فسروا من خلاله التوسع المبكر والسريع للإسلام نفسه، "فالجفاف المتزايد في البادية العربية ـ وما أدى إليه من جوع ـ كان العامل الذي دفع العرب في طريق الغزو"، ومن ذلك روح الاعتداء التي اتصف بها البدو من الأعراب، والانحلال الاجتماعي الذي كانت تعاني منه المجتمعات التي دخلت الإسلام، والانفجار السكاني(الديمغرافي) في شبه الجزيرة العربية، وتفوق الأسلحة التي كانت العرب تستخدمها، والصفات النادرة التي كان يتسم بها القادة المسلمون"، وأن الإسلام كان رداً على مرض العصر الذي حدث نتيجة انتقال العرب من حياة البداوة إلى اقتصاد حضري، ومن ثم فالتوسع الذي تم عن طريق الغزوات لا يمكن فهمه إلا على أساس العامل الاقتصادي، ذلك أن زيادة السكان، والمحافظة على مستوى المعيشة، والبحث عن مصدر جديد للرزق، والطمع بالغنائم لا يتحقق إلا بذلك، فشَّرع النبي ε القتال وشجع أصحابه عليه، وعندما فشل في الحديبية، قاد حملة على مستعمرة (خيبر)، وضم (فدك) إلى ملكه الخاص، ويرى (مرغليوث) أن حياة محمد ε ـ بعد الهجرة ـ قائمة على السلب والنهب، وأن استيلاءه على خيبر قد بيَّن إلى أي مدى أصبح الإسلام خطراً على العالم؛ بل إن الصحابة ـ بعد وفاة النبي ε ـ شجعوا الكفار للبقاء على كفرهم حتى تستمر جباية الضرائب منهم.

**14 ـ المنهج الإسقاطي:**

يقوم هذا المنهج بإسقاط الواقع المعاصر، على الوقائع التاريخية القديمة، فتفسر اعتماداً على خبرة المستشرق ومشاعره الخاصة، وما يعرفه من واقع حياته ومجتمعه، وهكذا لا يرى الباحث إلا صورته الذهنية دون غيرها من الصور الفكرية التي ربما تخالف ما يذهب إليه، وهنا يحاول جاهداً إخضاع جميع الصور إلى ما ارتضاه لنفسه ولو جانَبَ الموضوعية (الحاج، 2002)، أو يسقط قضية (ما) شاعت عند الأديان الأخرى على الدين الإسلامي، فـ Watt ـ مثلاً ـ أسقط الرؤية العقلية المعاصرة حول تدرج الأديان، فتحدث عن تدرج الدين الإسلامي، فأقدم الآيات القرآنية ـ في نظره ـ لا تحتوي على أي هجوم على الوثنية، بل كانت تؤكد على وجود توحيد غامض، ثم أخذ الإلحاح يشتد على وجود إله واحد مع شدة النقد لعبادة الأصنام، وأما عن تحنث النبي ε في غار حراء، فيفسر من قبل Watt على أنه ليس إلا فراراً من حر الصيف،

وأن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه عمل بالتجارة، والتاجر لا بد أن يدقق حساباته ويراجعها، وذلك لا يكون إلا بمعرفتهما.

**15- المنهج الانتقائي:**

يتم من خلال هذا المنهج اعتماد رأي أو فكرة أياً كان مصدرها؛ ولو كانت من ناحية أخرى شاذة وضعيفة، بشرط أن تخدم وجهة نظر المستشرق ومبدأه الذي يسعى لتقريره، أو بعبارة أخرى : لا يلتفتون إلا إلى الصورة التي تتفق مع موقفهم غير الموضوعي من الإسلام، يقول (مكسم رودنسون) *(ولد في باريس عام 1915م، عين أستاذا في المعهد الإسلامي بصيدا في لبنان، وحاضر في المدرسة العليا للآداب ببيروت، ترك آثارا كثيرة في مختلف الفنون، انظر العقيقي: المستشرقون 1/ 359، 360.)* ناقداً الباحثين الغربيين: "ينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كوَّنوها" *( الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية (في) كتاب "تراث الإسلام"، سلسلة عالم المعرفة، 1978م )* ؛ فقد أخذوا بالخبر الضعيف الشاذ في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ الغريب فقدموه على المعروف المشهور، وعولوا على الشاذ ولو كان متأخراً أو كان من النوع الذي استغربه النقدة ونبهوا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الذي يحقق هدفهم في إثارة الشك، ومثاله ما قاله (ول ديورانت) عن هارون الرشيد مبيناً صلته الوثيقة بالبرامكة:"وكان هارون يحب جعفراً حباً أطلق ألسنة السوء في علاقتهما الشخصية، ويقال: إن الخليفة أمر بأن تصنع له جبة ذات طوقين يلبسها هو وجعفر معاً، فيبدوان كأنهما رأسان فوق جسم واحد، ولعلهما كانا في هذا الثوب يمثلان حياة بغداد الليلية"، فـ"ديورانت" الذي شكك في صحة روايات ثابتة ـ كواقعة سُم النبي ε أتى بهذا الخبر اللقيط الذي لا يعرف له أصل، واتخذ منه مناسبة كي يطعن في خليفة المسلمين، وبعاصمتهم بغداد التي كانت آنذاك حاضرة الثقافة وقبلة العلماء (الديب، 1413ه)، ونتيجة لإلمام بعض المستشرقين بعدد وافر من اللغات الحية والقديمة، فقد عولوا كثيراً على المنهج الفيلولوجي الذي يركز على الناحية اللغوية في دراسة الوقائع التاريخية.

**<u>وأخطر ما في هذا المنهج التركيز على السلبيات وإهمال الإيجابيات</u>** ، فقد انصرفت الدراسات الاستشراقية انصرافاً تاماً عن نهضة الشعوب الشرقية والإسلامية في العصر الحاضر، وركزت جهودها على تاريخها القديم، ولا سيما الفتن، والحروب الأهلية، والفرق الدينية الهامشية *(الدراسات الاستشراقية عن الفرق الإسلامية لا يخلو كثير منها من التزيد والمبالغة؛ فقد كتبت بطريقة مغرضة كي تتسع الهوة بين المسلمين ومن ذلك كتاب"الدروز وديانتهم" لـ: دي ساسي الفرنسي(ت 1838م)، و"الإسماعيليون وسورية" لـ ديفرمري" الجبري: 229 ، 230.)*، ثم أظهروا في أيامنا هذه أهمية خاصة لقضية الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، ومظاهر الانقسام، وكل مسألة تظهر سلبيات هذا التاريخ ، كما عمدوا إلى تعظيم دور الفرق الدينية بقصد النيل من وحدة الإسلام، ووحدة مجتمعه وحضارته، بل بالغوا كثيراً في الدور الديني للفرق فاعتبروها مسؤولة عن تطور العقيدة في الإسلام، وتعدد الرؤى العقدية، كما اتجه الاستشراق بمعونة سخيِّة من الدوائر الاستعمارية باستحداث فرق دينية جديدة ـ كالبابية، والبهائية، والقاديانية ـ في المجتمع الإسلامي؛ وتأصيل مفاهيمها ونشر نصوصها والتعريف بأعلامها ونعتهم بالمفكرين التحرريين العقلانيين، وتقديم عون مادي وعلمي لأبنائها في جامعاتهم، وإظهارهم على أنهم مضطهدون في بلدانهم، فيحتفي بهم الغرب

ويدفعون بهم إلى التمرد على المسلمين والكتابة ضدهم، وكل ذلك لنفي وحدة الأمة وإحداث فرقة بين المسلمين، وتعميقها إن وجدت، وخلخلة التوازن في مجتمعاتهم، ونشطوا في تضخيم الظواهر الشاذة في حياة الأمة وتعميمها واعتبارها أصلاً، كتمجيد التصوف الكاذب، وأنه يمثل روح التدين الحقيقي في الإسلام، أو بعبارة أخرى "الإسلام الحي".

**16 ـ المنهج الشمولي التعميمي :**

ويتجلى ذلك بتعميم الواقعة الفردية لتتحول إلى ظاهرة، ومن ثم تقديم تصورات وأحكام عامة، من ذلك أيضاً: ما قرره Watt أن الصلات بين محمد وورقة بن نوفل كانت مستمرة، وأنه تعلم منه أشياء كثيرة، مع أن وثائق التاريخ تدل على أن اللقاء كان يتيماً، وليس في كلام ورقة ما يسمح بهذا الاستنتاج المبالغ فيه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد اشتط في المبالغة حين قال: لقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة، دون أن يبين مصداق ذلك.

وفي هذا السياق يأتي تشكيك بعض المستشرقين بالشعر الجاهلي، إذ ادعوا أنه منحول اعتماداً على أن بعض رواته ـ كخلف الأحمر(ت 180هـ) *(خلف الأحمر شاعر وصاحب براعة في الأدب، يكنى أبا محرز، حمل عنه ديوانه أبو نواس، وكان الأصمعي يسلك طريقته ويحذو حذوه حتى قيل: هو معلِّم الأصمعي، ومما أخذ عليه أنه كان يعمل القصيدة يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء، وينحلها أعيان الشعراء..فلا يفرَّق بين ألفاظه وألفاظهم، ويرويها جلَّة العلماء لذلك الشاعر الذي نحله إيّاها. انظر الجلال السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان(صيدا)، 1/ 554)* كان يزيد فيه.

**9ً ـ منهج الشك والافتراض :**

بمقتضى هذا المنهج يشك الباحث في الواقعة التاريخية، أو ينفيها إذا اقتضى الأمر من غير أن يقدم دليلاً على ما ذهب إليه، ويقابل ذلك افتراض وقائع واستنتاجات معينة، ففي الحالة الأولى يشكك فيما هو أقرب إلى الحق، بينما يصدق في الحالة الثانية ما هو أقرب إلى الباطل، ويكثر هنا من استعمال "ربما" و"نستطيع أن نفترض" و"لعل" و"الاحتمال الأقرب"، يقول Watt معبراً عن ذلك : "إن الباحثين الغربيين قد شككوا في كل المراجع القديمة، حتى إن بعضهم لم يقبلوا سوى القرآن....فإن صدق هذا لاستحالت علينا كتابة سيرة محمد"، ورغم نعي Watt على بعض الباحثين مبالغتهم في الشك، فقد وقع فريسة له أيضاً حيث شكك في مشاركة العباس في بدر مع المشركين، فـ"ربما يكون اسمه قد أضيف فيما بعد لإكساب ذريته مجداً"، ولا يدري المرء أي مجد يشرف ذرية العباس في اشتراك أبيهم في معركة ضد الرسول -صلى اللهعليه وسلم- ! وعلق أيضاً على قضية زواج النبي الكريم بخديجة وإنجابه أولاده السبعة منها، بأنه إذا أنجبت ولداً في كل سنة "فإنها تكون في الثامنة والأربعين من عمرها عند ولادة الأخير، وليس هذا مستحيلاً ولكنه غريب يثير القلق، وهو من الأمور القابلة، لأن تصبح فيما بعد معجزة"، ولا ندرى وجه الغرابة في ذلك، فالوقائع تثبت أن الولادة يمكن أن تستمر إلى الخمسين وأكثر، وزعم Brockelman أننا لا نملك بينة يوثق بها عن حياة النبي الأولى غير آيات سورة الضحى، وبذلك يكون قد أغمض عينيه عما في كتب السيرة والسنة جملةً وتفصيلاً.

وفي جانب آخر، فقد شكك بعضهم ـ وعلى رأس هذا الاتجاه Noeldekd ـ في أصالة الأدب الجاهلي، فبعض الشعراء المتأخرين وضعوا قصائد على لسان شعراء الجاهلية لينالوا القبول والحظوة، كما أن الأسماء التاريخية التي وردت في الشعر ـ ومنها أسماء الأنبياء ـ من وضع إسلامي، ليضمنوا لقصائدهم الانتشار (نولدكه و الجبوري، 1979)، والمعلقات "السبع" لم تعلق على جدار الكعبة ولم تكتب بماء الذهب، بحجة أن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مكة

ـ كالأزرقي وابن هشام ـ لم يذكروا ذلك، ولم يرد شيء عنها في القرآن أو السنة! أو كتاب "الأغاني"، وإنما أتى على ذكرها المتأخرون، وأنه لا يوجد بيت شعري موثوق في صحة نسبته قبل عام(500)م، كما يزعم.

كما شككوا في صحة الأنساب الواردة في المصادر العربية القديمة، وادعى بعضهم ـ كنولدكه ونيكلسون(ت1868م) ومرجوليوث وغيرهم ـ أن وسيلة العرب في تدوين شعرهم كانت بدائية، حيث اعتمدت على الذاكرة، فشكك في قيمة الحفظ وفي الرواية الشفهية، وبسببها تسرب الانتحال، ومن ثم ما الذي يضمن أن الأشعار التي عاشت طوال تلك المدة على شفاه الناس احتفظت بشكلها الأصلي، وأن القرآن قد ذم الشعراء وسيلزم عن ذلك نسيانه إن وجد *(مستشرق إنكليزي يعد ـ بعد ماسنيون ـ أكبر المتخصصين في التصوف الإسلامي وهو من ذوي الإنتاج العلمي الغزير له اهتمامات في الأدب العربي والشعر الفارسي، من أهم أعماله"مثنوي" لجلال الدين الرومي و"تاريخ الأدب العربي" وحقق عدة كتب في التصوف كـ"تذكرة الأولياء" لفريد الدين العطار و"اللمع" للطوسي، و"ترجمان الأشواق"لابن عربي، انظر بدوي: موسوعة ص593 ، 594 )*، ومن زاوية أخرى فالعرب قد اختلفت لهجاتهم، ومع ذلك أتى شعرهم في لهجة واحدة، ومن الصعوبة ـ بل الاستحالة ـ تصور وجود لغة مشتركة لهم قبل الإسلام، لذا فقد تم وضع الشعر بعده، وبعض المنصفين منهم لم يرتض ذلك المنهج حيث قال: "ومن إفراط الخيال أن تظن أن معظم القصائد المنسوبة إليهم منحولة في عصر متأخر، ومن تأليف أدباء عاشوا تحت ظروف مغايرة تمام المغايرة، وفي عالم شديد الاختلاف عن أيام الحياة البدوية" (الأبرص، د.ت).

على أي حال فهذه النظرية قد تلقفها عدد من الباحثين العرب، ولا سيما النصارى منهم كجورجي زيدان وفيليب حتي ولويس عوض ولويس شيخو، كما تبناها بعض الأدباء المسلمين كطه حسين في كتابه ذائع الصيت"في الشعر الجاهلي" *(حيث قال فيه: " إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام"، ط. الحلبي، 1927م، ص71، وقد انبرى للرد على نظرية طه حسن المرجليوثية الأصل عدد من العلماء، منهم: محمد الخضر حسن في كتابه: (نقض كتاب في الشعر الجاهلي)، ومحمد الخضري في: (محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي)، ومحمد فريد وجدي في كتاب: (نقد كتاب في الشعر الجاهلي)، ومحمد لطفي جمعة في كتابه: (الشهاب الراصد)، ومحمد أحمد الغمراوي في كتابه: (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي)، وشكيب أرسلان في مقدمته على كتاب الغمراوي هذا، ومحمد صادق الرافعي في كتابه: (تحت راية القرآن). انظر محمد مصطفى هدارة: موقف مرجليوث من الشعر العربي ص 397(ضمن مناهج المستشرقين).* حيث غالى في الشك وبالغ في إطلاق الأحكام واصطياد الشبهات وتضخيمها، ولم يوفق ـ في أحيان كثيرة ـ على إيراد دليل على بعض أحكامه (الجبوري، 1997).

وأما بالنسبة إلى الافتراض، فقد افترض بعضهم أن فكرة عالمية الرسالة جاءت فيما بعد (حسن إبراهيم، 1975)، وزعم بلاشير أن معظم نصوص الوحي كانت عند وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- محفوظة في الصدور، أما المكتوب فلا يتجاوز بعض نسخ جزئية دونت بطريقة بدائية، يصعب قراءتها إلا إذا كان القارئ يعي النص المكتوب في ذاكرته، بينما يفترض بعضهم أن الحاجة دفعت الصحابة ـ بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى تدوين المصحف

بأن اليوم الآخر يزداد بعداً، وأن النسخ وسيلة لجأ إليها النبي ε ليغير الأحكام التي بلغها سابقاً؛ لعدم تناسبها مع الأحداث التي عرضت له فيما بعد، وأن السور قد رتبت ـ في عهد أبي بكر ـ على حسب الطول ما خلا الفاتحة، وهي طريقة مصطنعة تماماً، وزعم (سفاري) أن النبي εكان يستصحب في عزلته في غار حراء بعض الخدم *(مختصر السيرة، 70، ضمن السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ت: محمد عبد العظيم علي، ونقده عبد المتعال الجبري، دار الدعوة(الإسكندرية)، ط1، 1414هـ. )، وكأن الغار ـ الذي لا يتسع لأكثر من شخص أو شخصين ـ قصر منيف ومنتزه يتسع للخدم والحشم، ومن ناحية أخرى لم يتفطن أو تناسى هؤلاء أن طبيعة الخلوة عمل روحي يتنافى مع مظاهر التنعم والرفاهية )* ، ويفترض Goldziher أن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي في القرنين الأول والثاني، لأن الأحكام التي أتى بها القرآن الكريم قليلة؛ وبالتالي لا تفي بالحاجات التي تطلبها الوضع الجديد للإسلام بعد الفتوح، ولعل Watt من أكثر المستشرقين الذين وقعوا ضحية هذا المنهجعلى الرغم من ادعائه الحيادية العلمية في أبحاثه التي نشرها عن الإسلام.

**10ً ـ منهج البناء والهدم:**

في مرحلة البناء: يقوم المستشرق بالإطراء على الظاهرة التي يدرسها، أو على جوانب ثانوية منها، ثم يأتي دور الهدم، حيث يجرد تلك الظاهرة من أهم مقوماتها وأركانها على نحو يؤدي إلى سقوطها أو يكاد، فالمفكر الفرنسي غوستاف لوبون Lebon(ت1931م) سطَّر في كتابه (حضارة العرب) أفكاراً صحيحة ومعتدلة عن الإسلام، وأشاد كثيراً بكتابه ونبيه ثم ما لبث ـ بعد جملة وافرة من الثناء ـ أن رمى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالصرع والهوس، حيث قال: " ويجب عدّ النبي محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية، كأكبر مؤسس الديانات....فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور.... وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع ، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم، لكان للتاريخ مجرى آخر" (لوبون، 1399)، ثم يجعل القرآن من شواهد عبقريته، وهو دون كتب الهندوس قيمة، وينكر شموليته وأنه مؤقت بعصره، فلا يحقق حاجات الفرد في عصور لا حقة، بل يجعله سبب تخلف المسلمين.

أليس في هذه النتيجة التي انتهى إليها Lebon مجازفة كبيرة، فما أبعد الكمال الإنساني الذي تجلى في شخص محمد -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك الهوس الذي يملي على صاحبه مواقف غريبة، وحالات متناقضة، وأفعالاً ينبو عنها الذوق السليم، وكذلك الحال بالنسبة إلى Watt حيث تحدث عن حكمة النبي ε وذكائه وبُعد نظره في التعامل مع الأمور؛ ليؤكد أن مثل هذا الحكيم والسياسي الداهية لا يمكن أن يدعو قيصر الروم والإمبراطور الفارسي للدخول في الإسلام، فـWatt يريد أن يهدم فكرة عالمية الإسلام، أما بلاشير ـ وفق هذا المنهج ـ فقد قبل بالمعطيات القرآنية وركز عليها، ولكنه من جانب آخر رفض تأريخية السيرة .

**11ً ـ منهج المطابقة والمقابلة:**

استخدم بعض المستشرقين هذا المنهج في تحقيق النصوص التراثية ونشرها، وقد برعوا في ذلك وأجادوا إجادة لا ينكرها منصف، فكتب كثيرة لم تر النور إلا على أيديهم، وقد ساعدهم على ذلك تضلعهم بعدة لغات وإتقانها (البدراوي، 1996)، وكذا اطلاعهم على آلاف النسخ المخطوطة، وارتحالهم للوقوف عليها ولا ينبغي أن يقصر اللسان على مدحهم في هذا الجانب؛

فقد عملوا على حفظها وصيانتها من التلف بعناية فائقة، وفهرستها فهرسة نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وبذلك وضع تحت تصرف الباحثين بلا إجراءات معقدة، وقدر عددها في جامعاتهم ـ وكلها مفهرسة ـ مئات الآلاف (الزيادي و حمدي، 1983)، كما يحمد لهم صبرهم الدؤوب على البحث والتقصي (زقزوق م.، قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، 1988)، لكن هذه الطريقة لم تسلم من الخطأ، لأن بعضهم حاول تطويع تلك النصوص؛ لكي تخدم قضية آمن بها وسعى لتقريرها.

**تلخيص موازين البحث عندهم**

ويمكن تلخيص موازين البحث عند المستشرقين في الموضوعات الإسلامية والإنسانية بما يلي:

1- تحكيم الهوى ونزعات العداء للإسلام والمسلمين، والتعصب الأعمى للنصرانية، وللشعوب والأمم المنتمية إليها.

2- وضع الفكرة مقدما ثم البحث عن أدلة تؤيدها مهما كانت ضعيفة واهية، ولو اضطرهم الأمر إلى اعتماد أسلوب المغالطات والأكاذيب، واقتطاع النصوص، وهذا عكس المنهج العلمي الاستدلالي السليم .

3 - تفسير النصوص والحوادث والوقائع والنيات والغايات تفسيرات لا تتفق مع دلالاتها وأماراتها الحقيقية، ولا مع النتائج التي أثبتها تاريخ الأمة الإسلامية.

4 - تضخيم الأخطاء الصغرى، وجعلها تطغى على ساحة صورة تاريخ المسلمين، وطمس الصور الرائعة المشرقة في هذا التاريخ.

5- تجميع الهفوات التي لا تخلو منها أمة مهما عظمت كمالاتها، ووضعها في صورة واحدة، وتقديمها على أنها هي كل صورة تاريخ المسلمين.

6 - تصيد الشبهات التي يشتبه وجه الحق فيها على كثير من الناس. ولا يستبين هم ما لم يمتحنوها بالتجارب الطويلة، وإثارة الانتقادات حولها، وتحريك الزوابع المملوءة بالغبار وما تحمله من قمامات. وفي ذلك يستغلون أنانيات النفوس وأهواءها وشهواتها، ويستغلون شعارات خادعات براقة المظهر، زخرفية القول، كشعار حرية المرأة .

7- اعتماد ما يوافق هواهم من كل خبر ضعيف، ورأي مردود شاذ، وقول ساقط لا سند له من عقل ولا نقل صحيح.

8- رفض الحق بالنفي المجرد، الذي لا يدعمه دليل صحيح مقبول في المنهج العلمي السليم.

9 - تفسير التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بالمنظار الذي يفسرون به التاريخ الغربي والحضارة الغربية، مع تباين الواقعين عقيدة ونظام وشريعة، وبيئة ودوافع تباينة كليا.

10 - استنباط القواعد الكلية العامة من الحوادث الفردية الجزئية، التي **لا** يصح منطقيا تعميمها.

11 - الاعتماد على الوهم المجرد لتفسير الأمور والوقائع .

12- قياس المؤمن المسلم الذي يخشى الله على الذين لا تردعهم روادع دين ولا خلق.

## خاتمة

يمكن أن نرصد من هذه الدراسة النتائج الآتية:

1- يلاحظ أن معظم المستشرقين - رغم اختلاف أساليب التناول ، ومناهج البحث، وطرق الدراسات- ينتهون في غالب الأحايين إلى نتائج متشابهة، من بينها:

أ- أن العنصر العربي عنصر متخلف بفطرته، وطبيعته الجنسية، والمناخية، الأمر الذي عطل فيه دوافع الإبداع والابتكار.

ب- أن الإسلام دين نهي وأوامر وزجر، وكبت للحرية، والاجتهاد، الأمر الذي أنتج أمة فاقدة للشخصية، مسلوبة الإرادة.

ج- أن محمد نبي العرب والمسلمين هو أقرب إلى الشخصيات الإصلاحية منه إلى الأنبياء المرسلين.

د- أن دور العلماء المسلمين في كل مراحل التاريخ كان مجرد النقل عن الحضارات واللغات الأخرى نقلا حرفيا مجردا، وأحيانا نقلا محترفا من غير إبتكار أو إضافة.

هـ- أن علاج الأمة الإسلامية من الكبوة يكمن في اتباع النموذج الغربي من كل النواحي.

**2** ـ إن من السمات الشائعة للفكر الاستشراقي أن كثيراً منهم مالوا لدراسة الإسلام على أنه إفراز لحضارات أخرى، وقد أدى ذلك لتجريده من أية سمة إبداعية أصيلة، ومن جانب آخر حكموا على الإسلام اعتماداً على قيمهم ومقاييسهم الخاصة، بدلاً من اعتمادهم على المصادر التاريخية الصحيحة.

**3** ـ لم يحقق الاستشراق أهدافه من تشويه الدين الإسلامي والنيل من معتقداته، ولكنه نجح في التهوين من شأن القرآن الكريم والسنة النبوية بإخضاعهما للنقد العقلي، والحض على هجرها واستبدالها بالقوانين الوضعية والقيم الإنسانية التي لا تستند إلى مصدر إلهي، وإثارة بعض القضايا العقدية التي شغلت المسلمين واضطرتهم إلى اتخاذ موقف الدفاع عن الإسلام ضد منتقديه وخصومه، فأثر ذلك على الفكر الإسلامي الحديث؛ حيث اصطبغ بصبغة دفاعية غايتها دفع شبه المشككين، وليس الدراسة المعمقة للتراث الإسلامي (خليفة حسن، د.ت).

**4** ـ عندما أدرك المستشرق عقم ديانته التي ينتمي إليها، وعجزها عن مواجهة الحقائق العلمية التي أتى بها عصر النهضة، ظن أن هذا ينطبق على الدين الإسلامي أيضاً، فلا بد أن يخضع للعقل، ويفهم من خلاله فقط، فقد جهل هؤلاء ـ ومن سار في ركبهم من مفكري العرب ـ أن الإسلام دين العقل والفطرة، وهو خلو من الطابع الأسطوري والخرافي الذي عرفته بعض الأديان الأخرى.

**5** ـ الآثار العلمية التي تركها المستشرقون ليس لنا إلغاؤها، بل لا يمكن ذلك، لأن أصحابها إن أبدعوا فيها سجلنا إبداعهم وشكرناهم عليه وأفدنا منه، وإن أسفوا سجلنا إسفافهم، ودحضنا باطلهم بالحجة، حتى لا يغتر بها الباحث الناشئ والعامي القارئ، وإن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ميزنا بينهما، وأقل ما يجب أن نقوم به أن نعرف بإحسان المخلص المنصف، وإساءة الحاقد الجائر.

**6** ـ حتى يفهم الإسلام فهماً صحيحاً لا بد من احترام المصدر الغيبي(الوحي) لرسالة النبي موقف موضوعي يبتعد عن الأحكام المسبقة؛ ويتجاوز كل الإسقاطات التي تعرقل عملية الفهم، وضرورة الإحاطة بأدوات البحث العلمي، وأخطاء المستشرقين وإن تمكنوا من هذه الأخيرة؛ إلا أنهم لم يحترموا المصدر الغيبي ولم يعتمدوا موقفاً موضوعياً، فالمستشرق إما أن يكون

علمانياً مادياً لا يؤمن بالغيب، أو يهودياً نصرانياً لا يؤمن بصدق رسالة محمد التي أعقبت ديانته، فهو بالتالي لا يبحث من أجل وصول إلى حق ينشده، وإنما للبحث عن مسوغ لشيء آمن به من قبل (خليل، د.ت).

**7** ـ إن الدراسات الاستشراقية مهما كانت موضوعية في محتواها، فإنها لا تخلو من هنات وأخطاء علمية ولغوية سببها الجهل باللغة العربية، ومن هنا ينبغي عدم التسليم بالنتائج النهائية لتلك الدراسات .

**8-** إن تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة، وخاصة طبيعية، تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين. وهكذا لم يتمكن الاستشراق من تطوير مناهجه، وبقي عاجزاً ـ حتى اليوم ـ عن تحرير نفسه من الخلفية الدينية التي شكلته، فلا تزال صورة الإسلام في الغرب حتى اليوم تتسم بالعنف والشهوات والمخادعة.

**ومن توصيات هذه الدراسة:**

**أولاً** ـ نوصي الباحثين العرب: بأنه ينبغي ألا تنكر تلك الجهود الكبيرة للمستشرقين من خلال مساهماتهم في تحقيق عدد مهم من كتب التراث الإسلامي ونشرها بلغاتهم، فضلاً عن عدد وافر أيضاً من الدراسات التي كشفت جوانب مهمة من تراثنا، لكن ينبغي أن نكون واعين جداً لمسألة مهمة وهي: أن اهتمامهم بهذا التراث(تحقيقاً ودراسة) كان من أجلهم لا من أجلنا نحن المسلمين، وإذا شعرنا في وقت من الأوقات بضرورة الرد عليهم، فيجب أن يكون ذلك لا بصب اللعنات عليهم وقذفهم بالتآمر والتهم؛ بل بتحليل فكرهم من داخله والكشف عن دوافعه وأهدافه، ويبقى بعد ذلك أن تراث الإسلام لم يكتب بعد الكتابة الحقيقية التي تبرز أهميته، وجميع ما كتب حتى الآن إما تكرار لطريقة مفكرينا القدماء، أو استنساخ لطريقة المستشرقين، وبالتالي تبني لا واع لأهدافهم وإشكالاتهم، إلا بعض الدراسات الجادة التي جاءت على استحياء شديد.

**ثانياً** ـ نوصي المستشرقين: بدراسة الإسلام دراسة موضوعية؛ بعيداً عن حالة العداء البغيض التي اصطبغت بها كثير من دراساتهم، ولا سيما في القرنين الماضيين، ومن ثم عدم التحيز للأنظمة والحركات المعادية للإسلام، وعدم اتخاذ سلوك المسلمين وحالهم أيضاً حجة على الإسلام.

والحمد لله أولاً وآخراً.

**المراجع**


1- ابن منظور ,ا .م) .د-ت .(القاهرة :دار المعارف.
2- أبو الحسن الندوي، و الغوري، إعداد سيد. (2002). *بحوث ومقالات حول الاستشراق والمستشرقين* (المجلد ط1). دار ابن كثير.
3- البدراوي ,ز .(1996) .*الاستشراق المشبوه* .Vol)العدد .((534)جدة :مجلة المنهل.
4- البيانوني ,م .أ .(2014) .*المدخل إلى علم الدعوة* .دمشق :مؤسسات الرسالة ناشرون.
5- الميداني ,ح .ع .(2000) .*أجنحة المكر الثلاثة* .Vol)ط .(8دمشق :دار القلم.
6- الندوة العالمية للشباب الإسلامي الندوة العالمية للشباب الإسلامي. (2014). *الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة* (المجلد ط4). دار الندوة العالمية.
7- النعيم ,ع .ا .(1997) .*الاستشراق في السيرة النبوية* .Vol)ط .(1أمريكا :المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
8- بدوي ,ع .ا .(1940) .*التراث اليوناني* .مصر :مكتبة النهضة المصرية.
9- بدوي ,ع .ا .(1993) .*موسوعة المستشرقين* .Vol)ط .(3بيروت :دار العلم للملايين.
4- حبنكة عبد الرحمان حسن الميداني. (2000). *أجنحة المكر الثلاثة* (المجلد ط8). دمشق: دار القلم.
5- حسن حسن إبراهيم. (1975). *تاريخ الإسلام* (المجلد ط9). مصر: مكتبة النهضة المصرية،.
6- حسن ,خ .(1997) .*آثار الفكر الاستشراقي* .Vol)ط .(1القاهرة :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية.
7- خليل ,ع .ا) .د.ت .(*المستشرقون والسيرة )ضمن مناهج المستشرقين* .Vol) (ج .(1
8- دومنيك سورديل .(1998) .*الإسلام* .Vol)ط .(2دار التنوير )لبنان.(
9- روز ,س) .د.ت .(*علم الأحياء والإيدولوجيا والطبيعة البشرية، ت :نصطفى فهمي، سلسلة عالم المعرفة* .Vol)رقم .(148
10- زقزوق ,م .ح) .د.ت .(*الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري* .Vol)د.ط .(دار المعارف.
11- ساسي الحاج. (2002). *نقد الخطاب الاستشراقي* (المجلد ط1). ليبيا: دار المدار الإسلامي.
12- صبيح ,م .(1983) .*بحث جديد عن القرآن الكريم* .Vol)ط .(8القاهرة :دار الشروق.
13- عبد الرحمان بدوي. (مرجع سابق). *موسوعة المستشرقين*.
14- عبد الرحيم بن محمد المغذوي. (2010). *الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية*. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع.
15- عبد العظيم الديب. (1413ه). *المستشرقون والتراث* (المجلد ط3). المنصورة: دار الوفاء.
16- عبيد بن الأبرص. (د.ت). *مقدمة (لايل) تر: حسين نصار*.
17- غانم ,إ .ع .(2019) .*مناهج دراسة التراث عند المستشرقين )المنهج التايخي ،المنهج الوصفي، المنهج الأنثروبولوجي نموذجا* .Vol) (مج .(4الأسكندرية :مركز البحوث والد ا رسات الاجتماعية والأفريقية "تحت التأسيس."
18- غوستاف لوبون. (1399). *حضارة العرب ت: عادل زعيتر* (المجلد ط1). بيروت.

19- كارل بروكلمان. (2005). *تاريخ الشعوب الإسلامية، ت نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي*. بيروت: دار العلم للملايين.
20- مجمع اللغة العربية مجمع اللغة العربية. (1989). مجلة مجمع اللغة العربية. صفحة 636.
21- محمد بن عبود. (1985). *منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، مقالة ضمن (ضمن مناهج المستشرقين، المنظمة العربية للعلوم والثقافة*. تونس.
22- محمد خليفة حسن. (د.ت). *آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية*.
23- محمد فتح الله الزيادي، و وحمود حمدي. (1983). *ظاهرة انتشار الإسلام، الإسلام والغرب* (المجلد ط1). طرابلس، القاهرة: المنشأة العامة للنشر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
24- محمد يوسف موسى وآخرون. (د.ت). *العقيدة والشريعة في الإسلام* (المجلد ط2). القاهرة: دار الكتب الحديثة.
25- محمود حمدي زقزوق. (د.ت). *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*. دار المعارف.
26- محمود حمدي زقزوق. (1988). *قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام* (المجلد ط1). دار المنار.
27- مصطفى السباعي. (د.ت). *الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم* (المجلد ط). المكتب الإسلامي.
28- نجيب، بدوي عفيفي. *موسوعة المستشرقين*.
29- نولدكه & ,الجبوري ,و .(1979) .*من تاريخ ونقد الشعر، ) ضمن دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهليـ عبد الرحمن بدوي(، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق* .Vol)ط .(1دار العلم للملايين.
30- واط ,م .(1998) .*القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه، ت :عبد الرحمن الشيخ* .الهيئة العامة للكتاب.
31- ودي ودي بور. (د.ت). *تاريخ الفلسفة في الإسلام، ت: د. محمد أبو ريدة* (المجلد ط5). مكتبة النهضة العربية.
32- ولفسون ولفسون هاري. (2005). *فلسفة المتكلمين، تر: مصطفى لبيب عبد الغني* (المجلد ج 1). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
33- يحيى وهيب الجبوري. (1997). *المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق* (المجلد ط1). دار الغرب الإسلامي.

**د. الشريف مرزوق**
**جامعة أم البواقي**